المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

تجليات الغزل الصوفي
في الشعر العثماني (نماذج مختارة)

Manifestations of Sufi yarn in Ottoman poetry
(selected models)

بقلم الدكتور

محمود فؤاد أحمد

مدرس الأدب والنقد بكلية البنات الأزهرية بالفيوم
جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

العدد الثالث (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٣/٦٩٤٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تجليات الغزل الصوفي في الشعر العثماني(نماذج مختارة)

محمود فؤاد أحمد

قسم الأدب والنقد في كلية البنات الأزهرية بالفيوم ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : mohmoudfoud.2040@azhar.edu.eg

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تجليات الغزل الصوفي في الشعر العثماني وقد قمت بدراسة هذا الموضوع بعد ما تبين لي أن الغزل الصوفي كان له حضور واضح في شعر شعراء العصر العثماني، ويهدف هذا البحث إلي تحديد مصطلح التصوف وعلاقة التصوف بالشعر ، والكشف عن أبعاده عند شعراء هذا العصر ، وقد اعتمدت في هذه الدراسة علي المنهج التحليلي ، ووقع اختياري علي هذا المنهج ، لأستطيع من خلاله الكشف عن مكنونات النص الشعري ، والوقوف علي أهم هذه التجليات ، وجاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ،وخاتمة ، وفهارس ، وتناولت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع ، وأهميته ، ومنهج البحث ، وخطة الدراسة ، وبينت في التمهيد معني التصوف ، وعلاقة الشعر بالتصوف ،وتحدثت في المبحث الأول عن العشق الإلهي ، والحب المحمدي ، التشوق والحنين إلى أرض الحجاز والأماكن المقدسة، وجاءت الخاتمة مشتملة علي أهم النتائج .

الكلمات المفتاحية: تجليات ، الغزل ، الصوفي .

Manifestations of Sufi yarn in Ottoman poetry (selected models)

Ahmed Abdel-latif Ahmed Abdel-razik
Department of Arabic Language in Girga, Al Azhar University, Egypt
Email: mohmoudfoud.2040@azhar.edu.eg

Abstract

This research deals with the study of the manifestations of Sufi yarn in Ottoman poetry. I studied this topic after it became clear to me that Sufi yarn had a clear presence in the poetry of poets of the Ottoman era. This research aims to define the term Sufism and the relationship of Sufism to poetry, and to reveal its dimensions among the poets of this era. In this study, I relied on the analytical approach, and I chose this approach, so that through it I could reveal the hidden contents of the poetic text and identify the most important of these manifestations. The research came in An introduction, a preface, three sections, a conclusion, and indexes. In the introduction, I discussed the reasons for choosing the topic, its importance, the research methodology, and the study plan. I explained in the introduction the meaning of Sufism, and the relationship of poetry to Sufism. In the first section, I spoke about divine love, Muhammadan love, longing and longing for The land of Hijaz and the holy places, and the conclusion included the most important results.

Keywords: manifestations, spinning, Sufi.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الغزل أكثر الفنون تعلقا بالنفس وأقواها تأثيرا، بما يحمله من صدق للعاطفة ورضا النفس ،ومتعة للروح ، فالغزل يعزف علي وتر الصدق والمحبة والعفة ويصدر عن عاطفة مليئة بالأحاسيس ،فيعد الأدب الصوفي واحدا من أهم الفنون الأدبية التي ظهرت في العصور الإسلامية، وجاء ظهوره في الشعر وتطور تطورا ملحوظا في هذا الفن، وجاء أول ظهور له في الشعر الديني ثم اخذ في التطور والامتزاج بالغزل العربي، مستخدما لرموز الحب وأسلوبه ولغته ، حتي ظهر علينا بنوع جديد وهو الغزل الصوفي ويندرج تحته الحب الإلهي وحب النبي –صلى الله عليه وسلم–،فاستعار لغة الغزل والحب ليعبر عن أشواق ولواعج المحبين لمعانقة ما لا يري ولا يصل إليه.

أسباب اختيار الموضوع :

١- إن الأدب الصوفي ، وبخاصة الغزل الصوفي له إبداعاته وتجلياته التي تسهم في إظهار مكنون شعراء الصوفية من حبهم لله وتعلقهم برسوله –صلى الله عليه وسلم–.

٢- من خلال القراءة في أشعار العثمانيين أردت إظهار ما فيها من ظواهر نفسية وفنية ولفظية تتعلق بحب هؤلاء الشعراء لخالقهم ونبيهم .

٣- اظهار النزعة الصوفية عند شعراء العصر العثماني ، لأن الحب الصوفي ما هو إلا خلاصة تأملات في الكون والحياة.

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة علي المنهج التحليلي ، لأقف من خلاله علي تجليات الغزل في الشعر العثماني ، والكشف عن مكنونات النص الشعري.

الدراسات السابقة:

١- رسالة ماجستير بعنوان: تأثر الأدب الصوفي بالغزل العذري: الحلاج وابن الفارض والبوصيري أنموذجًا، للباحثة رفيدة محمد، كلية الآداب، جامعة جرش بالأردن.

٢- بحث بعنوان: أبعاد الجمال والجلال في الحب الصوفي-مقاربة جمالية تحليلية-، ميلود حميدات، مجلة الكلمة للدراسات والأبحاث، ٢٠١٩م.

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلي مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة يليها بيان بالمصادر والمراجع والمحتويات .

المقدمة : تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع ، وأهميته، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد : بينت فيه التصوف في اللغة والاصطلاح ، وعلاقة الشعر بالتصوف .

المبحث الأول : العشق الإلهي.

المبحث الثاني : الحب المحمدي.

المبحث الثالث: التشوق والحنين إلى أرض الحجاز والأماكن المقدسة.

الخاتمة : وتحوي أهم النتائج.

فهرس المصادر والمراجع وفهرس المحتويات.

✍تجليات الغزل الصوفي في الشعر العثماني

تمهيد :

قبل الحديث عن (الغزل الصوفي) تُجدر الإشارة إلى تعريف التصوف في اللغة والاصطلاح .

أولاً : في اللغة :

جاء في مقاييس اللغة : الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف، والباب كله يرجع إليه، يقال كش أصوف وصوف وصائف وصاف كل هذا أن يكون كثير الصوف، ويقولون: أخذ بصوفة قفاه: إذا أخذ بالشعر السائل في نفرته ...، وأَمَّا قوله: صاف عن الشر، إذا عدل، فهو من باب الإبدال: يقال: صاف إذا مال(١).

ثانياً : في الاصطلاح :

لقد كان للتصوف تعاريف ومفاهيم كثيرة متعددة عرفها كل مفكر حسب اتجاهه ومذهبه، ومن هذه التعريفات :

ما قرَّره أحد علماء التصوف وهو معروف الكرجي (ت٢٠٠هـ) بأن : «التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدى الخلائق» (٢) .

والدكتور عبد المنعم خفاجي يحدد مفهوم حقيقته فيقول: «هو إيثار وتضحية»(٣).

---

(١) ينظر مقاييس اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون ٣٢٣/٣ ط٢، شركة مصطفى البابي الحلبى، مصر بدون تاريخ .

(٢) تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، لأمين يوسف عوده ص١٢، مطبعة جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن .

(٣) ينظر الأدب في التراث الصوفي، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص٣٣، دار غريب، القاهرة بدون تاريخ .

ولعل أقرب الأقوال عن التصوف ما نجده في تعريف محمد مرتاض الذى: « إن التصوف هو الوصول إلى الله الحق، وليس مجرد الوصول إلى مقام ما » (١).

ومما تجدر به الإشارة إلى أنَّ الغزالي كان أحسن من صوَّر صعوبة الوقوف على تحديد تعريف معين الصوفية لما قال :«وظهر لي أن أخص خصائصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذَّوق والحال وتبدل الصفات فعلمت يقينًا أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال» (٢).

وللصوفية مصطلحات تعبِّر عنها ألفاظ وكلمات وتراكيب، ولها معان خاصة ومطالب مخصوصة غير ما يدل عليه ظاهر الألفاظ والكلمات، أو تتضمن هذه الكلمات والألفاظ معانى أعمق واكثر من الظاهر(٣).

علاقة الشعر بالتصوف :

ولقد اتسم الشعر العربي عبر مسيرته بالعديد من الظواهر الفنية، والتي أسهمت بلا شك في تجديد مضامينه وإثرائها ومن أهم هذه الظواهر التصوف الذى يرجع سر الاهتمام به لما يجمع بينه وبين الشعر من علاقات وروابط جديِّة(٤).

---

(١) التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي، محمد مرتاجي، ص١٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عنكون، الجزائر، ٢٠٠٩م .

(٢) المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال، للإمام أبى حامد الغزالي، بقلم الدكتور عبد الحليم محمود ص٣١ ، دار الكتب الحديثة، مصر بدون تاريخ.

(٣) دراسات في التصوف، إحسان إلهى ظهير الباكستاني ص٢٩٨، ط١، مطبعة دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع ٢٠٠٥م .

(٤) ينظر : الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، سعيد بوسقطة، ص١٣٧، منشورات بونة للبحوث والدراسات ٢٠٠٨م .

لذا فإن الشعر والتصوف حقلان متقاربان في عالم معرفي واحد، هو عالم الروح المتخفي وراء عالم الواقع لانهما يصدران عن روحية للعالم، فهما يتفقان في الأسلوب أي الصورة، والإيقاع واللغة [١].

فالصوفي هو شاعر سواء نظم القول أو نثر فأداة الادراك عنده هي نفسها وسيلة الشاعر فكليهما يعتمدان على الباطن، مما جعل لغتهما مختلفة عن اللغة العادية[٢].

مفهوم الغزل:

للوقوف علي المعني اللغوي لكلمة (غزل) ينبغي الرجوع للمعاجم اللغوية فهي من : غَزَلَتِ المرأةُ تَغْزِلُ غَزْلاً بالمغزل، والمُغْزَلُ لغةٌ. والغَزَلُ: حديث الفتيان مع الجواري، يقال: غازَلَها مُغازَلَةً. والتَّغَزُّلُ: تكلف ذاك[٣]. وابن سِيده يعرفه بقوله : «تَحْدِيث الفِتْيان الجَوارِيَ وَقد غازَلَها مُغازَلَة والتَّغَزُّل المتكَلُّف لذَلك وَقد تَغَزَّل بهَا...، نَسَبَ بالنِّساء يَنْسِب ويَنْسُب نَسَباً ونَسِيبا تغزَّل بهنَّ فِي الشِّعْر.... شَبَّب بهَا كَذَلك».[٤]

---

(١) ينظر الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة ابن الفارض انموذجًا رسالة دكتوراة إعداد الطالب بولعشار مرسلي، إشراف أ.د/ أحمد مسعود، ص١١، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران ــ السنه الجامعية ٢٠١٤م-٢٠١٥م.

(٢) ينظر الشعر والتصوف، إبراهيم محمد منصور، ص٢٤ دار الأمين للنشر والتوزيع ط١، القاهرة ١٩٩٩م.

(٣) كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،٣٨٣/٤ ، دار ومكتبة الهلال ، بدون تاريخ.

(٤) المخصص: لابن سيده ٥٤/٤ ، ٥٥ – المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق مصر ١٣١٧هـ .

كما يعرفه ابن منظور من قوله : « الغزلُ حديث الفتيان والفتيات فابن سيدة يعرفه بقوله : الغزل اللهو مع النساء، ومغازلتهن : محادثتهن ومراودتهن »[١] ،

ويقول أيضًا : « وشَبَّبَ بالمرأَة: قَالَ فِيهَا الغَزَل والنَّسِيبَ؛ والتَّشْبِيبُ: النَّسِيبُ بالنساءِ»[٢].

وقد اتفق بعض اللغويين والأدباء في استعمال هذه المسميات الثلاث كمترادفات دون تفريق أو تمييز للفظٍ دون لفظٍ فسواءاً قيل (غزل) أو (نسيب) أو (تشبيب) فكل هذه المسميات تؤدي الغرض نفسه والمعنى ذاته، إلا أنَّ كلمة (الغزل) هي أكثرها شيوعًا وانتشارًا بين الدارسين .

والغزل « وليد عاطفة الحب، وتصوير لنفسية قائلة ، فهو إذن يتسم بالصدق الشعوري، ويمتاز من أبواب الشعر الأخرى كالمدح والوصف والهجاء والفخر، لأن هذه الأغراض كثيراً ما كانت تنبعث عن ملق أو ادعاء، فتحرم صدق الشعور وحرارة العاطفة»[٣] .

الغزل والتصوف:

والغزل في الشعر الصوفي أسلوبً يتوخاه الشاعر للتعبير مجازًا عن جمال لا كجمالٍ المرأة المدرك الزائل ولكن للتعبير عن جمال أكثر ديمومة وسرمدية ...فكان الصوفي إذْ يروم التعبير عن كلَفه وهيامه بالذات الإلهية يلجأ إلى صور غزلية محسوسة تضمن له التأثير والقابلية على متقبله،

---

(١) لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ٩٨٥/٢ مطبعة دار صادر – بيروت،ط١٤١٤،٣ه.

(٢) السابق ٢٦٠/٢ .

(٣) الغزل في العصر الجاهلي : د / أحمد الحوفي ص ١٣ ط ١ ، مكتبة نهضة مصر الفجالة، بدون تاريخ .

وتتيح له كذلك النشوة والانفعال، ويقول ابن عربي في ترجمان الأشواق: «وجُعلَتْ العبارة عن ذلك للسان الغزل والتشبيب لتعشق النفوس بهذه العبارات فتتوفر الدواعي إلى الإصغاء إليها [١].

ويعد التصوف في الدولة العثمانية امتداد طبيعيًا للتصوف في بلاد ما وراء النهر المنشأ الأصلي للأتراك العثمانيين فلهذه المنطقة تأثير قوى في نشر التصوف وتقوية نفوذه بحكم موقعها الجغرافي إذْ تجمعت فيها الثقافات والتقت الديانات، وجاوزت بلاد فارس وخرسان، المعقل الأول للتصوف وأهم مراكزه [٢] .

ولقد كان التصوف في العصر العثماني لا يختلف كثيرًا عن تصوف العصر المملوكي في نوعه وإن ظهر فارقٌ قليل الخطر في قوة التيار أو ضعفه، والتصوف في العصر العثماني لا يكاد يعدو الأغراض العملية التي أدت إلي وجوده، وهى العكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله والتجرد والذكر والزهد في طلب الدنيا ومجاهدة النفس ورياضتها .

ومن أهم معاني الغزل الصوفي في العصر العثماني :

العشق الإلهي – الحب المحمدي – التشوق والحنين إلى أرض الحجاز والأماكن المقدسة .

---

(١) ينظر الشعر الصوفي في الأدب العربي بموريتانيا في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين: دراسة في دواوين منتقاه، رسالة دكتوراة، إعداد الباحث عبد الرحمن بن عبدالله، إشراف د/ محمد اليعلاوي ص١٨٠، كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس الأولى، ١٩٩١م.

(٢) التصوف وآثاره في تركيا إبان العصر العثماني عرض ونقد، رسالة دكتوراه إعداد الباحثة حنان عطية الله ضيف المعبدي، إشراف د. عبدالله بن عمر الدميجي ص٤٩، كلية التربية للبنات بمكة الأقسام الأدبية قسم الدراسات الإسلامية جامعة ام القرى بالمملكة العربية السعودية العام ١٤٢٨ه – ١٤٢٩ه.

المبحث الأول : العشق الإلهي

وحقيقة هذا العشق عند الصوفية في أنهم يعتبرون أنه ليس من كائن إلا الله، فالله هو الجمال السَّرمدى، وليس من سبيل إلى الله إلا الحب، فالحب سببه جمال الله، والعُالَمْ خُلق ليقدم آيات الحب على الله وذلك هو سر الحياة، والصوفية يحبون الله لا خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته بل يحبونه لذات الحب، ولأنه أهل الحب، وهذا الوجد العوضي غرق فيه كثير من شعراء الصوفية، عبَّروا فيه من خلال أشعارهم عن حبهم لله تعالي(١).

والحبُّ الإلهي في الحقيقة لم يصبح موضوعًا رئيسيًا للشعر الصوفي إلا من بعد عصر رابعة العدوية (٢) فقد تغنى الصوفية به.

ونظرية رابعة في الحب الإلهي يَدْخُل فيها معني الخلة؛ لكن هذا هو الجانب العملي أو الأخلاقي، أما الجانب العاطفي فيتمثل في بعض الأبيات المنسوبة إليها وفي بعض الأقوال التي يُروى أنها تفوَّهت بها .

---

(١) جمالية الرمز في الشعر الصوفي محي الدين بن عربي نموذجًا رسالة ماجستير هدَّى فاطمة الزهراء إشراف أ. د/ محمد مرتاض ص٣٧ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ــ جامعة أبى بكر بلقايد وتلمسان ــ الجزائر ٢٠٠٦م.

(٢) رابِعَة العَدَوِيَّة: بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها(٠٠٠ - ١٣٥ هـ = ٠٠٠ - ٧٥٢ م). لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر: من كلامها: (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس، قال ابن خلكان: (وقبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمى الطور) وقال: (وفاتها سنة ١٣٥ كما في شذور العقود لابن الجوري، وقال غيره سنة ١٨٥ : كتاب الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ج٣،ص١٠. الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

وأشهر هذه الأبيات تلك الرباعية المشهورة : [١]

أحبك حبين حب الهوى ∴ وحباً لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى ∴ فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له ∴ فكشفك لي الحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ∴ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

هذه الأبيات السابقة الرائعة تبين مدى حب رابعة العدوية لله باعتباره حبيبًا لها وربًا في آنٍ واحد، فالحب الأول هو حب الهوى والمقصود به في الأبيات العشق المعروف بين الناس، والنوع الآخر من الحب هو الحب الإلهي بين العبد لخالقه، وقد استخدمت الشاعرة بعض الصور المجردة غير الحسية، من حالة الحب والعشق والهيام بالمحبوب الذى جاوز المدى، وكذلك استخدمت بعض الحواس مثل (أراك)، (كشفك الحجب) رغبة منها في إظهار مدى العاطفة الحرَّى في رؤية المختص بالحب وهو الخالق سبحانه ، ومن خلال تكرار كلمة الحب يظهر مدي شدة تعلق قلب رابعة بالله –عز وجل– ويلمح في البيت الأخير النزعة الإيمانية التي تشبعت بها نفس رابعة العدوية فإنها ترضي بقضاء الله وقدره وتحمده في جميع أحوالها.

وجاء تكرار كلمة الحب خمس مرات ليدل علي أن حَبَّ رابعة العدوية للخالق سبحانه وتعالى مرتبة لا يرقى لها إلا المخلصون الأوفياء الأنقياء، ولكن طريقة وصفها للذات الإلهية بأنه الرجل الذى تعشقه أظن أن فيها

(١) إتحاف السادة المتقين، للسيد محمد بن محمد الحُسيني الزبيدي ٥٧٦/٩ دار الفكر للنشر والتوزيع بدون تاريخ ، والأبيات من المتقارب.

شيءُ من المبالغة لجأت إليه الشاعرة لتبين مدى ارتباطها وحبها لله سبحانه وتعالي.

ومن روّاد هذا الفن ابن الفارض[1] الذى عُرف عنه بأنه شاعر الحب ومن أمثلة

شعره في الحب الإلهي ما قاله : [1]

هو الحُبّ فاسلم بالحشا ما الهَوى سهلَ ∴ فما اختارَهُ مُضْنى به وله عقْلُ

وعِشْ خالياً فالحُبّ راحتُهُ عَنا ∴ وأَوّلُهُ سُقْمٌ وآخرُهُ قَتْلُ

ولكنْ لديّ الموتُ فيه صَبابةً ∴ حياةٌ لَمن أهوى عليّ بها الفضل

نصحْتُك علماً بالهَوَى والذي أرى ∴ مخالَفَتي فاختر لنفسكَ ما يحلو

فإن شئتَ أن تحيا سعيداً فمُتْ بِهِ ∴ شهيداً وإلاّ فالغرامُ لهُ أهْل

فمن لم يمُتْ في حُبّه لم يَعِشْ به ∴ ودون اجتناءِ النّحل ما جنتِ النّحل

تَمَسّكْ بأذْيالِ الهَوَى واخْلَعِ الحيا ∴ وخَلّ سَبيلَ الناسكينَ وإن جَلّوا

وقُلْ لقتيلِ الحبّ وَفّيتَ حقّه ∴ وللمدعي هيهاتِ ما الكَحَلُ الكَحْل

تعرّضَ قومٌ للغرامِ وأعْرَضوا ∴ بجانبهم عن صحّتي فيه فا عتلوا

رَضُوا بالأماني وابتُلوا بحظُوظهم ∴ وخاضوا بحار الحبّ دعوى فما ابتلّوا

---

(١) ابن الفارِض: عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل(٥٧٦ - ٦٣٢ هـ = ١١٨١ - ١٢٣٥ م)، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن =الفارض: أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى " وحدة الوجود " قدم أبوه من حماة (بسورية) إلى مصر، فكسنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض ،الأعلام للزركلي ٥/٥٥.

(١) ديوان ابن الفارض ص١٠٠،دارصادر بيروت بدون تاريخ ،والأبيات من الطويل.

الشاعر الناسك المتبتل في محراب الحب الإلهي يعلم أن الحب الإلهي في هذه المرتبة العالية، فيقول :(فاسلم بالحشا) لأن الحب والعشق ليس سهلًا ويدلل بقوله: (فما اختاره مضني به وله عقل) ليبين عظم هذا الحب وعمقه، الذى لا يصل إليه إلا الزاهد العابد، والحب كما يقول: أنه حياةً يهوى ويعشق، ومن أراد أن يعيش سعيدًا فليمت شهيدًا في سبيل الأحبة ،وليس أعظم من محبة الخالق جل علاه، ويذكر أن من من مات في هوى الحب صدق في دعواه، ومن بقى حيًا مع دعوى الحب فهو كاذب، والذى يقرأ هذه الأبيات دون تروٍ يعتقد أن الشاعر يتحدث عن الغرام بين الرجل والمرأة، لكن في الواقع الشاعر يتحدث عن حبّ من نوع خاص يتعلق بالذات الإلهية، وحُبُّ الله وحده جلَّ علاه .

وعلى هذا النحو من الذيوع والانتشار أخذت مسألة المحبة تحتل نفوس الصوفية ومؤلفاتهم المحلَّ الأرفع، فعدَّها بعضهم من المقامات، وعدَّها بعضهم الآخر من الأحوال، وأفردوا لها من هذه الكتب فصولًا خاصة ... يحللونها فيها ويحددونها، ويكشفون فيها عن وجه الحق تارة بكلام منظوم وتارة بكلام منثور .

وعن هذا الحب الإلهي من الشعر الغزلي استعان به أصحابه على الإعراب عما تتأثر به نفوسهم ، وما يتعاقب على هذه النفوس من الأحوال، وليس من شك في أن ما يدخل من هذا الشعر في باب الغزل الإلهي، لم يقصد به أصحابه الجمال الفني لذاته، والصناعة الشعرية من حيث هي، وإنما هو ضربٌ من التعبير وجدوه أكثر ملاءمة لحقائقهم، وتصوير ما تكنه سرائرهم من ناحية، ورأوا أنه أقدر على التأثير في السامع تأثيرًا قويًا، وأدعى إلى إهاجة العاطفة، وإثارة الشعور من ناحية أُخرى، وإنك لتراهم قد

عمدوا في هذا الشعر إلى الحب وما يتصل به من ذكر أسماء المعشوقات، والوصل والهجر، والقرب والبعد، وإلى الخمر وما يتصل بها من حان وألحان، وكأس وندمان، وغير ذلك من الأشياء التي توجد -عادة- في الشعر الغرامي والخمري، الذى يعبر به عن عاطفة إنسانية نحو معشوقة آدمية، وعن حالة نفسية هي السُكر الناشئ من تناول الخمر المستخرجة من الكَرْم، ومن هنا يصعب التميز بين الشعر الغزلي العادي والخمر العادي، وبين الشعر الوصفي .

وهذا الأسلوب الذى اتخذه شعراء الغزل الصوفي يجعل صعوبة في إدْراك الغاية منه من قِبَل غير أصحاب الأذواق الروحية والأحوال الصوفية .

لذا نجد أنَّ الشعراء الصوفيون تفننوا في توظيف تلك الرموز التي تزدحم بها القصيدة الصوفية .

وشعراء الصوفية في العصر العثماني اتخذوا هذا الأسلوب قالبًا يعبرون فيه عن حبهم الإلهي، ومعراجًا لوصف شوقهم ووجدهم وهيامهم في الذات الإلهية .

ومن أمثلة الغزل الصوفي في الحب الإلهي عند شعراء العصر العثماني أبيات للشاعر علي الصوفي [1] يقول فيها: [2]

ومن عجبي أنّ الذين أحبهم ∴ أراهم بعين القلب طول المدى معي

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانه ج٤، ص٣١٥ والأبيات من الطويل،المؤلف: محمد بن أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، تحقيق: أحمد عناية،دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان،الطبعة: الأولى – ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥ م.

وتنظرهم عيني وهم في سوادها ∴ ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

جعلت لهم حتى الدوام حشاشتي ∴ وعن غيرهم أصلاً قطعت مطامعي

شكوت لقاضي الحب جور أحبتي ∴ جفوني وقالوا أنت في الحب مُدعي

فخذ قصتي واحكم عليَّ ومنهم ∴ فإني عليهم خائف كيف أدعي

وعندي شهودٌ أربعٌ يشهدون لي ∴ سقامي ووحدتى واشتياقي وأدمعي

وإن طلبوا مني حقوق هواهم ∴ أقول فقير لا عليَّ ولا معي

وإن سجنوني في سجون هواهم ∴ دخلت عليهم بالنبي المشفِع

في الأبيات السابقة تظهر العاطفة الحرَّى في حُبِّ الذات العلية، فنجد الشاعر يتهادى نشوانًا، متشوقًا لكشف الحجب عمَّا وراءها طامعًا في النظر إلى وجه العزيز، والذى هو يتمنى أن يراه في صحوه ونومه دائمًا، فحبُّ الله يملأ عليه كلَّ جوانحه، بَيْدَ أن هذه الرغبة سرعان ما ينطفئ بريقها، لان حبُّ الله بحرٌ لا ساحل له، وكلَّما ازداد صاحبه شربًا ازداد عطشًا وظمأً، فيؤوب من معراجه إلى الحياة البشرية وقد اعتراه السقم والوجد، وفضحته دموعه، فلا حيلة له في حبه سوى هذه الأشياء، وإن قصر في حق ربه من حيث حبه وشوقه له وطُولب من قبل الحق سبحانه بأداء ما عليه من واجبات تجاه الذات العلية، استعان العبد بشفاعة سيد المرسلين محمد ﷺ، ليرفع عنه العقاب من قبل ملك الملوك سبحانه وتعالي فهذه أبيات صوفية تبين الشغف والشوق الذى ألم بالشاعر حين هفت نفسه بحب الله جلَّ وعلا، وقد استخدم الشاعر بعض الألفاظ التي تدل علي مدي حبه وشدة تعلقه بالحبيب فجاء ذلك في قوله (وتنظرهم عيني ، سوادها ، يشتاقهم قلبي ، أضلعي) فدلالة هذه الألفاظ له عمق وأثر في المعني الذي أراده الشاعر من

شدة الحب والتعلق وهذا الحب متمكن منه لا يفارقه أبدا ، وايضا استخدم الشاعر حرف العين قافية له الذي يخرج من أقصي الحلق ليبين الأثر والحب الذي يسكن أعماق الشاعر فلذاك اختار قافية ملائمة لنفسيته .

ويتحدث الشيخ الشبراوي[1] عن حبه وتعلقه بالذات الإلهية فيقول:

وَحقك أَنت المنى وَالطَلَب ∴ وَأَنتَ المُراد وَأَنتَ الأرب
وَلي فيكَ يا هاجِري صَبوة ∴ تحير في وَصفِها كل صَبّ
أَبيت أُسامِر نجم السَما ∴ اِذا لاحَ لي في الدُجى أَو غرب
وَأَعرِض عَن عاذِلي في هَواكَ ∴ اِذا نَمّ مُنيَتي أَو عَتب
أَمَولايَ يا لِلّهِ رفقا بِمَن ∴ اِلَيكَ بِذلّ الغَرامِ اِنتَسَب
فَاِنّي حسيبُكَ مِن ذا الجَفا ∴ وَيا سيدي أَنتَ أَهل الحسب
وَيا هاجِري بَعد ذاكَ الرِضا ∴ بِحَقِّكَ قل لي لِهذا سَبَب

(١) ديوان الشبراوي عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهري الشافعي الشهير بالشبراوي الشيخ الامام العالم العلامة والفاضل الهمام البحر الفهامة الناظم الناثر الأوحد المفنن أبو محمد جمال الدين ولد سنة احدى وتسعين وألف وجده عامر مترجم في خلاصة الأثر للمحبي وأخذ عن جملة من العلماء الأعلام كالعلامة محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أجازه سنة وفاته وهي عدد خرش وعن أبي مفلح خليل بن إبراهيم اللقاني والشهاب أحمد بن محمد الخليفي والامام محمد بن عبد الباقي الزرقاني والشهاب أحمد بن غانم النفراوي والجمال منصور المنوقي والعلم صالح بن حسن البهوتي الحنبلي وعيد بن علي النمرسي والجمال عبد الله بن سالم البصري وغيرهم وبرع ورؤس في العلم حتى صار شيخ الجامع الأزهر وتقدم على أقرانه سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر المؤلف: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: ١٢٠٦هـ) الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم،ج٣، ص ١٠٧ ،الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

فَـــانّي مُحـــب كَمـــا قَـــد عَهِـــدت ∴ وَلكِـــنّ حبـــك شَـــيء عَجَـــب

يظهر في هذه الأبيات السابقة تعلق الشاعر باللطائف العلويـــة، فهـــو سبحانه المقصد والسبيل، والغاية المنشودة في قلب هذا العبد المُحب، فقـــد خالط الشوق كل حوانجه وملك عليه كلَّ جوارحه، وهذا في الحقيقة ضـــربٌ من الشغف والهيام والقرب والأنس رأفه به لإنه لا يقوى على البُعد، فهـــو يناجي الخالق سبحانه وتعالى ليمُدّه بعونه، ويشمله بحبه .

ويصور الإمام أبو العباس الحلبي[١] شدة الحب والشـــوق لله ســـبحانه وتعالى فيقول: [٢]

عبـــدكم في بـــابكم كـــم ينـــادى ∴ قـاطعًـــا في حـــبكم كـــلَّ وادي

يـــا مَـــوالي ذي الهـــوى والتصـــابي ∴ عـــذبوه بـــالهوى لا البعـــاد

كـــم بكـــى مـــن عينـــه سُـــحْت دمـــع ∴ وأنكـــوت أجفانـــه بـالســـهاد

يكشف الشاعر عن حبه وعشقه لله فمن شدة الذكر والحب سلك كـــل الطرق كي يحظى بالرضا والمحبة من قبل الذات الإلهية ، وهو دائم التعلـــق والحب بالله، فكم يسكب العبرات حبًا في الله، وكم يبيت سهرانًا يناجى خالقه متبتلًا رافعاً أكُفَّ الضراعة إليه سبحانه، شاكيًا إليه حرقة الشوق التي هـــي في فؤاده لاتهدأ ولا تنطفي نارها، وقد عبر الشاعر بألفاظ وعبـــارات تـــدل علي تمكن وتغلغل الحب والعشق الإلهي من هذا الشاعر فمن هذه الألفـــاظ قوله(سحت دمع ،أنكوت أجفانه ، حبكم ، كل وادي) .

---

(١) لم أقف علي ترجمته

(٢) ديوان عرائس الأفكار في مدائح المختار، للإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبـــي، تخريج أ. د/ علي بن المنتصر الكّناني، تقديم الشريف محمـــد حمـــزة بـــن علـــي الكّنـــاني ص١٣٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م والأبيات من الرمل .

وها هو الشاعر عمر اليافي[1] يعبر عما في مكنونه من حب للذات الإلهية ذاكرًا مدى الحب وأسبابه ومصورًا البداية للحب في حبَّاتٍ تزيد وتنمو فيقول : [2]

كَيفَ أَخشى تَحوُّلَ الأَحوالِ ∴ وَلِرَبّي التَسليمُ في كُلِّ حالِ

لَستُ أَبغي لِلنَفسِ حَظّاً وَقَد بِت ∴ تُ بَرِيئاً مِن قُوَّتي وَاِحتِيالي

كَيفَ أختارُ بَعدَ ما بِتُّ أَختا ∴ رُ الَّذي يَرتَضيهِ لي ذو الجَلالِ

كَم لَهُ في الفُؤادِ حَبَّة حُبٍّ ∴ أَنبَتَتها تَجَلِّياتُ الجَمالِ

فالشاعر في الأبيات السابقة يتحدث عن قلبه وانكاره للحيرة بعدما أختار ورضى بما قسمه الله له، وهذا من أسباب السعادة عند الشاعر ومن هذا المعنى ينتقل الشاعر إلى التعبير عن مقدار الحب للذات الإلهية بقوله: (كم له في الفؤاد حبَّة حُبّ) وقد عبرَّ الشاعر بالجملة الخبرية المبدوءة (بكم) للدلالة على كثرة الحب في قلبه فهو قد ملك عليه كلَّ جوارحه .

(١) عمر بن محمد البكري اليافي، أبو الوفاء، قطب الدين: شاعر، له علم بفقه الحنفية والحديث والأدب. أصله من دمياط (بمصر) ومولده بيافا، في فلسطين. أقام مدة في غزة، وتوفي بدمشق.

_ كان خلوتي الطريقة، نظم موشحات أكثرها في مصطلح القوم. وله " ديوان شعر الأعلام للزركلي ج٥، ص٦٤.

(٢) ديوان العارف الكامل خاتمة المحققين الأفاضل ، عمر اليافي ص٥، طبع في المطبعة العلمية في بيروت ، سنة ١٣١١، والأبيات من بحر الخفيف .

المبحث الثاني : الحب المحمدي

إنَّ من أصدق أنواع المحبة حب النبي ﷺ لأنه يخرج من عاطفة مفعمةٍ بحبه، وحبُّ النبي ﷺ من أخص خصوصيات المسلم به يَكْمُل إيمانه، وهي محبةٌ شرعية أوجبها الله – سبحانه وتعالي – علينا ودلَّ عليها في كتابه قال الله – تعالي –: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١).

وأحاديث النبي ﷺ صريحة في الدلالة على وجوب هذه المحبة فمن ذلك قوله ﷺ :«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(٢) .

وإذا أردنا أن نقف على حقيقة هذه المحبة لرسول ﷺ في أبهى صورها، وحقيقة هذا التوقير والتعظيم في أجمل هيئاته وحُلَلِه، فلننظر إلى تاريخ الصحابة المجيد، ومسيرتهم الفذة؛ فقد حققوا أروع الصور، وضربوا أحسن الأمثال في تحقيق هذه المحبة، ولقد أراد الشعراء والمادحون أن يظهروا محبة النبي ﷺ فرطوا ألسنتهم بالثناء عليه ﷺ منذ ولادته إلى يومنا هذا، فتفننوا وبرعوا، وجادت قرائحهم بصنوفٍ شتى؛ من إظهار الشوق، والحب، والحنين لخير المرسلين محمد ﷺ وجده، ونار الحب التي تضطرم في داخله، فيقول: (٣)

---

(١) سورة التوبة آية (٢٤) .

(٢) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن عبدالله البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر، ١٥،١٤/١ ، مكتبة دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢ه .

(٣) ديوان نفحة القبول في مدح الرسول، للشيخ عبد الغني النابلسي، دراسة وتحقيق : د/ فردوس نور علي حسين ص٣٦، مطبعة دار الفكر العربي ــ مدينة نصر القاهرة، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م. والأبيات من بحر الكامل .

قلبٌ بـه أيـدى المحبـة تعبـث ∴ لكـن بأذيـال الرجـا يتشـبثُ

وجـوانحٌ جنحـتْ لكتمـان الهـوى ∴ مـع أَنَّ ألسـنة الـدموع تحـدثُ

وأنـا الـذي يـا أهـل طيبـة حـافظٌ ∴ لعهـودكم طـول المـدى لا أنكـثُ

في الأبيات السابقة تظهر عاطفة الشاعر الحرَّى تجاه الحبيب محمد ﷺ فهو يتحدث عن حبه وشوقه وغرامه في سبيل المرسلين محمد ﷺ كما يبين حرقة الجوى وناري الحب التي تضطرم في حنايا صدره، وإن حاول كتمانها فإن دمع عيونه ينطق عما بداخله من حب النبي ﷺ ، وجاءت الاستعارة في قوله (ألسنة الدموع) حيث جاء التشخيص والتجسيم الذي يظهر مدي حالة الشاعر مهما كتم حبه واشتياقه فيظهره انطلاق دموعه وتدفقها من شدة الحب والشوق لرؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- واستخدم الشاعر أفعال المضارعة في قوله (يتشبث ، أحنث ، لا أنكث) ليدل علي أن اشتياق الشاعر وحبه للنبي دائم ومستمر غير منقطع.

وحبُّ النبي ﷺ شِرْعَة المؤمنين في كل أقطار الدنيا عندما تحدث عبد الغني النابلسي[1] فقال: [2]

---

(١) عبد الغني النابلسي: هو عبد الغني بن إسماعيل بن عيد الغني النابلسي (١٠٥٠-١١٤٣هـ :١٦٤١-١٧٣١م) شاعر عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، وكان متصوفاً، ولد ونشأ في دمشق، ورحل منها إلى بغداد، وعاد إلى سورية فتنقل في فلسطين، ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي بها وله مصنفات كثيرة جداً، منها: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، وذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث، ونفحات الأزهار على نسمات الأشجار. ينظر الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفي ١٣٩٦) ٣٢/٤، مطبعة دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

(٢) المجموعة النهائية في المدائح النبوية، يوسف بن إسماعيل النبهاني، ٤٨٥/١، مطبعة دار الفكر ــ بيروت بدون تاريخ ــ والبيتين من البسيط .

والطيب من طيبة الفراء فاح به ∴ فاستنشقته قلوب حشوها الوصب

وحبه دين أهل الله قاطبة ∴ لهم به نسب ما فوقه نسب

يتحدث الشاعر في البيتين السابقين عن النسمات المفعمة بالطيب الآتية من مدينة رسول اللهﷺ ثم يبين في البيت الثاني أن حبَّ رسول الله ﷺ هو دينٌ وعقيدة لأهل الإيمان في شتى بقاع فحبه ﷺ هو أفضل المقامات، وأطيب المنازل وجاء تعبير الشاعر في قوله (فاستنشقته قلوب) والاصل في الاستنشاق من الأنف ولكن عبر بالقلب ليدل علي مدي تمكن حب النبي -صلى الله عليه وسلم – في قلب الشاعر وتمكنه وتشربه بلحمه ودمه .

وابن معصوم يتحدث عن حبه وغرامه بالنبي ــ صلي الله عليه وسلم ــ فيقول:(١)

كَلِفتُ به وما كُلِّفت فرضاً ∴ فأَوجبَ طرفُه قَتلي وسنّا

وأَبدى حبَّه قَلبي وأَخفى ∴ فصرَّح بالهوى شَوقاً وكنّى

وَما قَصدي بتحبيرِ القَوافي ∴ سوى لفظٍ أُحبِّرُه وَمَعنى

لأَستَجني ثمارَ القول مَدحاً ∴ لمن أَضحى بطيبةَ مُستَجِنّا

وَمَدحُ محمَّدٍ شَرفي وفخري ∴ وَهَل شَرَفٌ وَفَخرٌ منه أَسنى

يوضح الشاعر في الأبيات السابقة الحنين الجارف لرسول ﷺ وما يكنه في قلبه من حُبّ وشوق لحبيبنا محمدﷺ كما يجعل القصد من قول الشعر عنده هو مدح الحبيب محمد ﷺ والثناء عليه بما هو أهله، لعله بهذا ينال القرب والأنس بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم- وجاء التكرار في قوله (مدحا – ومدح – وشرفي – شرف) ليدل علي أن ذكر سيدنا

(١) ديوان ابن معصوم ص٤٣١، ٤٣٨. والأبيات من الوافر .

محمد في قصائده يكسبها البهاء والعزة والشرف ، وتعلو قصائده بذكر اسم خير الخلق فيها.

وابن زاكور يصف شوقه بالحب المحمدي فيقول : (١)

لـي في هَـوى المَحبـوبِ أعظَـمُ نَشـوَةٍ ∴ مَوصـولَةِ الأَفـراحِ رَقَّ طِلاهـا

فَـإذا سَـكِرتُ صَحَوتُ مِـن طَرَبـي بِهـا ∴ وَإذا صَـحَوتُ سَـكِرتُ مِـن ذِكراهـا

فَـإذا صَحَوتُ فمـا صَحَوتُ عَـنِ العُـلا ∴ وَإذا سَـكِرتُ فَمـا سَـكِرتُ سَـفاها

جَمَحَـت بِمَيـدانِ النَسـيبِ قَـريحَتي ∴ وَمَـديحُ مَـن سـادَ الـوَرى يَرعاهـا

يصور الشاعر في الأبيات السابقة مدى حب للنبي ﷺ فنرى الشاعر يثبت لنفسه صفه الحب والهوى، فكلما ذكر النبي ﷺ أنس وَطربْ وقد استخدم الشاعر الأسلوب الخبري ليؤكد ويقرر مدى حبه، ويتبين أيضًا مكانة المحبوب في قلب المحب.

وأما الشاعر ابو العباس الحلبي فإنه يرسم حبه للنبي ﷺ في صورة شراب لذيذ الطعم والرائحة فيقول: (٢)

سـقاني هـواكم لذيـذ الشـراب ∴ فبـتُّ علـى قلـق واضـطرابُ

ومـذ ذقـت مـن حـبكم شـربة ∴ رأيـت سـوى حـبكم كالسـرابُ

عمـرتم فـؤادي بكـم سـادتي ∴ ومـن غيركـم يبـت قلـبي خـراب

فـلا كـان قلـب وعـلى غيركـم ∴ فـذلك قلـب كثيـف الحجـاب

فلـم يخلـق القلـب إلا لكـم ∴ يصـور أشخاصـكم في المغـاب

(١) المنتخب من شعر ابن زاكور ص٧،عمل عبد الله كنون الحسني، ط ،دار المعارف بمصر ١٩٦٦، والأبيات من الكامل .

(٢) ديوان عرائس الأفكار في مدح النبي المختار ص٩١ والأبيات من المتقارب .

وغـــــير جمـــــالكم لم تكـــــن ∴ تـــرى أعـــين عنـــد كشـــف النقـــاب
ويقلـــى اللســـان ســـوى ذكـــركم ∴ فـــذكر ســـواكم لـــديَّ ارتيـــاب
ومـــــا أنشـــــقت الأذن إلا لأن ∴ تضـــم حـــديثكم المســـتطاب
ومـــا أنتشـــق الأنـــف إلا شـــذاً ∴ روائحكـــم بـــين تلـــك القبـــاب
ومـــا خفـــق القلـــب إلا بمـــا ∴ رأى مـــن ســـناكم بتلـــك الرحـــاب

الشاعر في هذه الأبيات يصف حبه للنبي ﷺ وكيف أن هذا الحب هـو شيء جميلٌ ومحببٌ إلى نفسه، فكانه شراب حلو المذاق يستلذ به ولا يقوى على الحرمان منه، كما أخذ الشاعر في الأبيات السابقة يشيد بجمال النبي ﷺ وأن الجوارح الإنسانية كلها ما خلقت إلا لترى هذا الجمال النبوي الشـريف المتمثل في محمد ﷺ والعشق والصبابة في سيد المرسلين محمد ﷺ له أثـرٌ على المحب فها هو ابن معتوق يصف حاله فيقول : (١)

لا بـرَّ في الحُـبِّ يـا أهـلَ الهـوى قسَـمي ∴ ولا وَفَـتْ للعُلـى إنْ خُنـتُكُمْ ذِمَمـي
وإنْ صـــبَوْتُ إلى الأغيـــارِ بَعـــدَكُمُ ∴ فـــلا ترقّـــتْ إلى هاماتِهـــا هِمَمـــي
وإنْ خَبَـتْ نـارُ وجـدي بالسُّـلوِّ فـلا ∴ ورّتْ زنـادي ولا أجـرى النُهـى حِكَمـي
ولا تَعصْـفرَ لـوني بـالهوى كمَـداً ∴ إنْ لم يـوِرِّدْهُ دَمعـي بعـدَكمْ بـدَمي
ولا تلـذّذْتُ في مُـرِّ العَـذابِ بكـمْ ∴ إنْ كـان يعْـذُبُ إلّـا ذِكـرُكُمْ بفَمـي
خلَعْـتُ في حـبِّكمْ عُـذري فألبَسَـني ∴ تجـرُّدي في هَـواكمْ خِلعـةَ السّـقَمِ
مـا صِـرْتُ في الحـبّ بـين النـاس معرفـةً ∴ حتـى تنكّـر فـيكمْ بالضّـنى علَمـي
صـبراً علـى كُـلِّ مـرٍّ في مَحبَّـتِكُمْ ∴ يـا أملَـحَ النّـاسِ مـا أحلـى بكُـم ألَمـي

(١) ديوان ابن معتوق شهاب الدين الموسوي ص١٠، طبع بالمطبعة الميمنية علي نفقة أصحابها مصطفي البابي الحلبي وأخويه بمصر بدون تاريخ ،والأبيات من البسيط .

في الأبيات السابقة يذكر الشاعر أن الحب إذا كان صادقاً في رسول الله ﷺ فإن ذلك يكون له دلالة واضحة في نفس وجسم المحب، فقد يعتريه الداء والسقم بسبب البعد وعدم اللقاء، ويحدث تغيير في لون جسمه وشكله، حتي يصبح مجهولًا بين الناس، كما أن العشق الصادق يجعله يتعذب بُمر الفراق، وإن حاول أن يجد في أهوال الدهر، ورخاء العيش متنفساً يخفف عنه ما يقاسيه من ألم الصبابة وفرط العشق، ولكن لا جدوى من هذا، فليس أمام العاشق الولهان المتيم بحب النبي ﷺ إلا الصبر والتجلد في هوى أفضل الخلقية أجمعين محمد ﷺ .

ومن الأشياء التي تنغص على العاشق حبه لوم العذال في حب النبي المختار ﷺ عند هذا تحدث الشاعر محمد الهلالي [1] فقال: [2]

صب لبان الحب صرفا قد غذى ∴ ولحبل ود فيكم لم يجذذ

هبت له من أرض نجد نسمة ∴ في طيها لما سرت نشر شذى

ما ضر مضنى الحب إلا عاذل ∴ مغرى بعذل للقلوب مفذذ

وعلام يعذله وذا قاضي الهوى ∴ يقضي بحكم في الغرام منفذ

اللَه في صب رماه ناظر ∴ بسديد سهم للقلوب مفلذ[3]

---

(١) محمد الصالحي الهلالي : هو محمد بن نجم الدين بن محمد الصالحي الهلالي (٩٥٦ه – ١٠١٢ه / ١٥٤٩م –١٦٠٣م) شاعر من الكُتاب من أهل دمشق له : سجع الحمام في مدح خير الأنام، وسفينة الصالحي، وسوائح الأفكار، والقرائح في غرر الأشعار والمدائح. الاعلام للزركلي ٧/١٢٣ .

(٢) سجع الحمام في مدح خير الأنام، محمد الصالحي الهلالي ص٢٦ ،٢٧ ط١، طبع في مطبعة الجوانب، قسطنطينة ١٢٩٨م والأبيات من بحر الكامل .

(٣) مفلذ : فلذ الشيء قطعه، معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/١٧٣٩.

ويلاه من سهم أصاب مقاتلي ∴ بالهدب من تلك الجفون مقذذ
أعشى البكاء نواظري من بعدهم ∴ والطرف من سهد ودمع قد قذى
لم يلف مني سلوة عن حبهم ∴ ولعهدهم ووادهم لم أنبذ
عذب العذاب ولذ لي في حبهم ∴ ووجدت في هذا العناء تلذذي
لم يبق في قلبي لعذل موضع ∴ لحلول حب فيهم مستحوذ

في الأبيات السابقة يوضح الشاعر ما يفكر صف المحب من أمور أهمها أقوال العذال ولومهم المتكرر في غرام النبي المختار ﷺ ولم يدر هذا اللائم في حب النبي المختار ﷺ أن هذا الحب يصب القلوب بسهام نافذة، كما أنه يخطف العقول، والأبصار، ثم يقول الشاعر : إن الفراق والبعد عن النبي ﷺ له أثر كبير في نفوس المحبين، ولا ينفع معه السلوة، ومع كل هذا العذاب والعناء، فإن حب النبي ﷺ له أعظم لذةٍ ومتعةٍ، ولا يترك في قلب من أحبه مكان لحبيب آخر؛ لأن حبه ﷺ يملك على الإنسان كل جوارحه.

ولا يلومُ في حبِّ النبي ﷺ إلا إنسان لم يتذوق حلاوة العشق النبوي الشريف؛ لذا فإن الشاعر عبد الرحمن الحميدي[1] يَعْذُر هؤلاء اللائمين في حب رسول الله ﷺ فيقول[2] :

لو ذقت طعم الغرام يومًا ∴ كنت عن العذل لي تفر

(١) عبد الرحمن الحميدي: هو عبد الرحمن بن أحمد علي الحميدي المصري زين الدين (ت١٠٠٥هـ = ١٥٩٦م) أديب، وشاعر، وشيخ أهل الطرق الوراقة بمصر ، من آثاره : بديعية وشرحها، ديوان شعر، والدر المنظوم في مدح النبي الأعظم . معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة ٥/١٢٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت – بدون تاريخ .

(٢) شعر عبد الرحمن الحميدي وحياته، تحقيق ودراسة : زغدود فودة ١٠١/٢ والأبيات من مخلع البسيط .

فـــن غـــرور المـــلام دعـــني ∴ فمـــا حـــوى الحمـــد مـــن يغـــر

ومـــن ســـوى ذكـــرهم أجرنـــي ∴ فمـــا ســـواهم يـــراد ذكـــر

فهـــم غنـــائي وهـــم شـــفائي ∴ وهـــم هنـــائي بهـــم أســـر

هـــم ســـكنوا القلـــب واســـتكنوا ∴ فهـــو لهـــم والحشـــا مقـــرّ

أنـــي لهـــم دائمـــا بـــرقٍ ∴ معـــترف مـــذعن مقـــرّ

يلتمس الشاعر في الأبيات السابقة العذر للعاذل في حب رسول الله ﷺ لأنه لم يتذوق حلاوة الحب والعشق المحمدي، وأنه لو ذاق طعم هذا الحـــب لما لام على محبٍ أبدًا؛ لأن حب النبي ﷺ هو النجاة والأمان من كل مكـــروه وسوء.

المبحث الثالث

التشوق والحنين إلى أرض الحجاز والأماكن المقدسة

إن أهل الإيمان من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تتطلع نفوسهم، وترحل عقولهم ومشاعرهم إلى زيارة الرسول الكريم ﷺ والوقوف عند مقامه، ومناجاته، وطلب شفاعته، وتنبض قلوبهم بذكر الديار المقدسة والحنين إليها، فيتشوقون لزيارتها، وتهفو نفوسهم إلى زيارة بيت الله الحرام وأداء هذا الركن، ليرى الإنسان تلك البقاع الطاهرة مهبط الوحي، ومبعث مجد الإسلام، ومنهل الهداية الراشدة.

فإلى هذه الديار تتوجه قلوب أهل الإيمان من المسلمين ملبين دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ (١) .

فالنفوس تهفوا إلى زيارة هذه الأماكن المقدسة، إذ يفدون إليها من كل فج عميق راغبين راهبين، تهفو قلوبهم قبل أبصارهم إلى مشاهدة آثارها ومعاهدها، ليمتعوا أرواحهم، ونفوسهم، بهذه الأراضي المقدسة والأماكن المطهرة، ويتذكروا عبق الأحداث العظيمة، وكان من بين هؤلاء المشتاقين الشعراء العثمانيين فقد أذكى الشوق والحنين خيالهم، فراحوا يسجلون أشواقهم وحنينهم في أشعار تفيض بالصدق والعذوبة والرغبة والرهبة وفي هذا يقول ابن معصوم (٢) :

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٧) .

(٢) ديوان ابن معصوم المدني ، ص ٣٣٨ ، تحقيق شاكر هادي شكر ، مكتبة النهضة العربية ط١، سنة ١٤٠٨هـ، - ١٩٨٨م، والأبيات من مخلع البسيط .

متـــى أَرى يـــا ثُـــرى ركـــابي ∴ لهـــا إلى طيبـــةٍ ذَميـــلُ
فيشـــتَفي قَلـــبيَ المُعنّـــى ∴ وَيكتَســـي جســـميَ النَحيـــلُ
وَيُصـــبحُ الشـــملُ في اِجتمـــاعٍ ∴ والقـــربُ مـــن بُعـــدنا بَـــديلُ
أَرجـــوك يـــا أَشـــرفَ البَرايـــا ∴ ومـــا الرجـــا فيـــكَ مُســـتَحيلُ
أَن تـــنجحَ اليـــومَ كـــلَّ ســـؤلي ∴ وإِن أَبـــى دَهـــريَ البَخيـــلُ

الشاعر في الأبيات السابقة قد أضناه الحنين، وأنهكه الوجد، وحـرّق قلبه ألم البعاد، فيرجوا من رسول الله ﷺ إذا أتاه أن يحقق فيه رجاءه، وأن يعطيه كلَّ ما يرغب فيه فهو عاشق محب يريد أن يحصل على مـراده، وأن يحقق ما تصبوا إليه نفسه.

ويتذكر الشاعر عبد اللطيف فتح الله مدينة رسول الله ﷺ فيذوب عشقًا ووجدًا حين قال[1] :

تَـــذَكَّرَ أَيّـــامَ اللّـــوى فَبَكـــى وَجـــداً ∴ وَفَرَّقَـــتِ الأَشـــواق مِـــن جَوفِـــه الكبـــدا
وَأَفـــرَطَ فيـــهِ الشّـــوق وَجـــداً وَلَوعـــةً ∴ وَمِنـــهُ بِنـــاءُ العمـــرِ وَالحيـــل قَـــد هُـــدّا
وَقَـــد شـــابَ هـــدبُ العَـــينِ وَاِســـوَدَّ دَمعُهـــا ∴ وَقَـــد كـــانَ مُبيَضّـــاً فَقَـــد صـــارَ مُســـودّا
وَمِنـــهُ لَقَـــد وَلّـــى وَمَـــاتَ شَـــبابُهُ ∴ فَكَفَّنَـــه مِـــن شـــيبِ لِمّتِـــهِ بِـــردا
وَقَـــد مَـــرَّ فيـــهِ ذِكـــرُ طيبـــةَ فَاِغتَـــدى ∴ خَـــدين هِيـــام لا يَقِـــرُّ وَلا يَهـــدا(٢)

(١) ديوان المفتي عبد اللطيف فتح الله ٨٧٤/٢ – ٨٧٥ ، تحقيـق زهيـر فـتح الله المعهـد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت ،لبنان ،١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م ،والأبيات من الطويل .

(٢) خدين : صاحب ، أو صديق حميم، (خادنته فكان نعم الخدين ألا إنما كُلّ امرئٍ بخدنيـه) . معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمـر(المتـوفي ١٤٢٤هـ) ٦٢٣/١، الطبعة الأولي ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م، الناشر عالم الكتب .

وَمِـــن بَـــينِ أَحشـــاه حَريـــقِ صَـــبابَةٍ ∴ يُهَيِّجـــهُ تِـــذكارهُ البـــانِ أَو نَجـــدا
إِذا نـامَـــتِ السّـــمّارُ هـــوّم جالِســـاً ∴ وَجافى لِفَرطِ الوَجدِ تَوسيدهُ الخدّا(١)
وَكَيـــفَ يَنـــامُ اللّيـــلَ مَـــن كـــانَ هائمـــاً ∴ وَقَـــد مَـــلأ التـــذكارُ أَعيُنَـــهُ سُـــهدا؟
بِحَيـــثُ مُقاســـاةُ التّولُّـــهِ وَالهَـــوى ∴ أَضَـــرَّت بِـــهِ حَتّـــى تَجـــاوَزَتِ الحـــدّا
فَأَصـــبَحَ مُلتَـــفَّ الضّـــلوعِ عَلـــى جَـــوى ∴ يُـــذيبُ بَقايـــا الـــرّوحِ وَالـــنّفسَ الكـــدّا
حَبـــيس هَـــوىً صَـــالَت عَلَيـــهِ يَـــدُ النّـــوى ∴ وَقَـــد قنطتـــهُ أَن يُفـــكَّ وَأَن يُفـــدى
رَمَـت فيـهِ عَـن قَـوسِ المَهالـكِ فَـارتَمى ∴ وَأَقعـــد لَـــم يَســـطع لِأَحبابِـــهِ رَدَّا
طَـــريح لَـــدى بَـــيروتَ ســـالَت جُروحُـــهُ ∴ وَقَـــد جَعَلـــوا في طيبـــةٍ لَهـــمُ مَهـــدا

يصور الشاعر في هذه الأبيات السابقة حالة مُحب قد أنهكه الشـوق، وأتعبه فراق محبوبه، فأصبح في تعب ونَصَبٍ، ولقد بلغ من شدة وطأ هـذا الحب أن المُحبَّ قد أوصله الشوق إلى حالة يُرثى لها، فقـد وهـن جسـده وصار سقيمًا عجوزًا وهو لا يزال في ريعان الشباب، فعندما يتـذكر مدينـة رسول الله ﷺ يذوب عشقًا ووجدًا، ويظل على هذه الحالة لا ينفك عنها أبـدًا فهي تلازمه كصديقه الحميم الوفي الذي يرافقه كظله، فالشاعر في الأبيـات السابقة يظهر حبه وولوعه بهذه الأراضي المقدسة التي احتضـنت أحسـن مخلوق وأكرم رسول على وجه الأرض .

وقد أجاد الشاعر في رسم معاناته الصادقة النابعة من أعمـاق قلبـه فاختار من الكلمات ما يدل على صدق قصده، ونُبْل توجهـه حيـث قـال :

(١) والسَّامر : مجلس السُّمار، كالسَّمَر مُحرَّكه ، قال الليث : السَّامر : الموضع الذي يجتمعون للسَّمر فيه . تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ،١٢/٧٤ ،تحقيق :مجموعة مـن المحققين ، الناشر / دار الهداية.

(فبكى وجدًا – بناء العمر والحيل قد هدَّا – طريح لدى بيروت – سالت جروحه) لينقل إلى المتلقي معاناته الصادقة وعاطفته المتشوقة الحرَّي .

وما أجمل الحنين إلى طيبة النبوية وإلى زيارة قبر النبي ﷺ حين يقول الشيخ الشبراوي [1]:

هذِهِ طيبَة يا عَين وَما ∴ بَعد من طابَت بهِ من طيب
طالَ ما كنت تَحنين الى ∴ رُؤيَة القَبرِ الَّذي في يَثرِب
هذِهِ أَنوارُ ذاكَ القَبر قَد ∴ أَشرَفَت يا مُقلَتي فَاقتَرِبي
وَانظُري لِلكَوكَبِ الدَرّي فَكَم ∴ أَنفُس تَصبو لِهذا الكَوكَب
وَاشهَدي القَبر الَّذي رَتبته ∴ بِرَسول اللَهِ أَعلى الرُتَب
ذاكَ قَبرُ مَن أَتاهُ زائِراً ∴ مَرّة في عُمرِهِ لَم يَخب
يا أَخا الاِشواقِ هذا المُصطَفى ∴ بثّ شَكواكَ لَهُ وَانتَخِب
وَتَأَدّب يا أَخا الوَجد فَما ∴ أَنتَ اِلّا في مَقامِ الاَدَب
وَاسكُب الدَمعَ سُرورا فَعَلى ∴ غَيره دَمعُ الهَنا لَم يُسكَب
وَاكحَل الآماقَ مِن تُربَتِه ∴ وَتَوسع في الاِماني وَاطلُب
وَتَذلل وَتَضَرَّع وَابتَهِل ∴ وَتَوَسع في الاِماني وَاطلُب
فَهُوَ بَحر زاخِر من جاءَه ∴ طالِبا فازَ بِأَسنى المَطلَب

يصور الشاعر شوقه الجارف وحنينه إلى النبي ﷺ كما نراه يصور قبره الشريف ومشاهدته لآيات الجمال والجلال فيه وقد ضم أفضل مخلوق على وجه الأرض، فكانت منزلة هذا القبر الشريف من أعظم المنازل

(١) ديوان الشبراوي ص ٧ ، ٨ ، والأبيات من الرمل .

وأشرف المقامات، ثم يطلب من زائري هذا القبر الشريف أن يسكبوا العبرات في هذا المقام الطاهر الشريف رغبة ورهبة، حتى ينال شفاعة سيد المرسلين محمد ﷺ ولعل ما أبداه الشيخ الشبراوي من شوق لطيبة رسول الله ﷺ وزيارة قبره الشريف لم يكن وليدة مشاعر ذاتية، بل كان أبلغ تعبير لما يجيش في صدر كل مؤمن محب للنبي ﷺ قد نأت به الديار، وعزَّ عليه رؤية مشاهد الحجاز المطهرة، فكانت مشاعره مشتركة بين المؤمنين الموحدين الهائمين بحب المصطفى ﷺ .

وعند زيارة القبر الشريف تنهمر الدموع وتجيش المشاعر كما صورها محمد بن الطيب [١] حين قال[٢]:

فتَنَعَّمي يا مُقلتي وتَنَزَّهي ∴ هذا الذي قَد كُنتَ قِدماً تنظرُ
وابكي إذا ما شئتِ أو فَلتَضحكي ∴ فالكُلُّ يُحمَدُ والمشوقُ مُحَرَّرُ
إذ عادَةُ المُشتاقِ يَبكي دائماً ∴ إن يَنعَموا بالوَصلِ أو إن يَهجُروا
فإذا دَنوا يَبكي مخافاتِ النَوى ∴ وإذا نأوا شوقاً لَهُم يَستعبِرُ

يصور الشاعر في هذه الأبيات السابقة القلوب المؤمنة العاشقة للنبيﷺ وقد شاقها رؤية الحبيب وزيارة قبره الشريف، ثم يصور هذا المكان الطاهر وكيف أن سيلان الدموع لا ينقطع من المحبين والعاشقين فعند البعد

(١) محمد بن الطيب محمد بن محمد بن محمد الشرقي الفاسي المالكي (١١١٠ – ١١١٧هـ = ١٦٩٨ – ١٧٥٦م) كان محدثًا علَّامة باللغة والأدب، وُلدَ بفاس، وكانت وفاته بالمدينة ، من مؤلفاته : المسلسلات في الحديث، وفيض الانشراح، وشرح كافية المحتفظ، وعيون الموارد السَّلسلة من عيون الأسانيد المسلسلة . الأعلام للزركلي ١٧٧/٦.

(٢) ديوان محمد الطيب الشرقي الفاسي ص ٥٢ ،ط١ سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، بدون تاريخ، والأبيات من الكامل .

يستهويه الحنين، وعند القرب يخاف المفارقة والرحيل، وفي هذا دلالة على صدق حبهم لأنهم يعلمون أنهم لا يحبون شخصًا كباقي البشر ، فهو رسول رب العالمين، أكرم من خلق الله ﷻ لذا فكانوا صادقين في أشواقهم وضنينهم.

وركب الحجيج مشهد يحرك المشاعر، ويلهب الأفئدة، وهناك أمور تحول البعض عن أداء هذا الركن، وزيارة هذه البقاع الطاهرة؛ لذا فقد كانت الأشواق تشتد بهم، فتسافر قلبوهم وترحل أرواحهم مع الراحلين، ولا يبقى لهم إلا تلك الأجساد المحطمة التي أضناها الشوق، وحالت الظروف بينها وبين الرحيل مع تلك المواكب التي كتب الله لها رؤية هذه المشاهد الكريمة، والأماكن المقدسة، وقد لهجت ألسنة الشعراء في هذا المقام حيث قال عبد الغني النابلسي[1]:

سار الحجيج فثار الشوق والوهج ∴ حيث المحامل بالركبان تختلج(٢)

والدمع من مقتلي سَحَّتْ سحائبه ∴ ولي لسان بجيران الحمى لهج

وأصبح الصب لا صَبْرٌ ولا جلدٌ ∴ كأنما هو في الأكفان مندرج

يا زاجرًا العيسُ شوقًا محو كاظمة ∴ قلبي بميسك مشغوف ومنزعج(٣)

---

(١) ديوان نفحة القبول في مدد الرسول ، للشيخ عبد الغني النابلسي ص ٤٣ ، ٤٤ والأبيات من بحر البسيط .

(٢) المحامل : المحمل : الهودج والعدلان على جانبي الدابة، والجمع محامل، ويقال : ما على البعير مَحْمَلَ مَوْضع لشيء يحمل وما على فلان مَحْمَل معول ومعتمد . المعجم الوسيط ٩٩/١.

_ تختلج : خَلجَ كفرح، أي اشتكى لحمه وعظامه من عمل أو طول مشي وتعب. تاج العروس ٥٣٠/٥ .

(٣) العِيسُ : بالكسر : الإبل البيض يُخالط بياضها شيء من شُقْرةٍ . السابق ٢٩٧/١٦ .

رفقًــا بهــن فقــد أودى بهــن سُــرَى ∴ لا يستقل لـه التعريس والـدلج(١)

يصور الشاعر في الأبيات السابقة ركب الحجيج وهم سائرون إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج، وهذا المشهد المهيب يذكي لهيب الشوق عند الشاعر، ويحرك مشاعره تجاه أقدس البقاع وأشرفها، فعندما ينظر إلى هذه الأفواج المغادرة لأداء الفريضة ، وقد تجمعت هذه الأفواج من كــل صــوب وحدب، تتوق نفسه إلى الرحلة معهم، في هذه الرحلة الإيمانية المباركة التي يشتاق إليها كل مؤمنٍ موحدٍ ، فهي الحلْم الذي يراود المؤمنين ومهما تحمل الحاج من مشاق السفر ومخاطره، فإن كل ذلك يهون للظفر برحلة قدســية تقربه إلى الله ليسكب في بيته سبحانه العبرات حيث هنــاك مــوطن تنــزل الرحمات، وغفران الخطايا والذلات، وقد عبر الشاعر عن شوقه وحنينه إلى هذه الأراضي الطاهرة بما يدل على حالته النفسية، وصدق محبتــه فاختــار بعض الألفاظ التي تصف نفسيته (فثار الشوق والوهج – والدمع من مقلتي سَحَّتْ سحائبه – مشغوف ومنزعج – التعريس والــدلج) ليحــرك عاطفــة المسلمين في شتى بقاع الأرض لأن تبوح وتشكو وتناجي فما أن تهل نسائم الحج حتى تهفو القلوب، وتجيش الصدور، حنينًا إلى زيارة بيت الله العتيق، وشوقًا إلى رضوان رب العالمين.

ويتحدث الشاعر محمد الصالحي الهلالي عن شوق وحنيه لزيارة البيت الحرام وأداء شعائر الحج ، ولكنه لا يستطيع الــذهاب مــع وفــد الحجــيج

---

(١) التعريس : أن يسير النهار كله، وينزل أول الليل، وقيل : هو النزول في المهد، أي حــين كان من ليل أو نهار . السابق ٢٤٩/١٦.

الدلجُ : مُحَرّكة، والدَّلْجة بالضم والفتح السير أول النهار ، وقد أدلجو ، كأخرجوا . الســابق ٥٧٠/٥.

لأسباب مادية، حالت بينه وبين الزيارة وأداء شعيرة من شعائر الإسلام ، لكن نفسه رحلت مع هؤلاء الحجاج المسافرين إلى هذه الأراضي المقدسة فصوَّر ذلك في عبارات تفيض أسى وحزنًا على ما فاته ، وعلى هذا التقصير الذي هو خارج عن حوله وقوته، حيث قال [1]:

شاقني الركب مائلا للحجاز ∴ حين نادت حداتهم بالبراز(٢)

هزني الشوق إذ بقيت فريدا ∴ في ديار الشآم أي اهتزاز

عاقني عنهم القضاء لأني ∴ لم أجد لي من قدرة للجهاز(٣)

ليس لي محل وكفى صفر ∴ أقعدتني عوائق الأعواز(٤)

رحلوا عيسهم وساروا وحيا ∴ بين تلك الهضاب والأجواز(٥)

الشاعر في الأبيات السابقة عندما شاهد ركب الحجيج يتوجه إلى الأراضي الحجازية قاصدًا بيت الله الحرام هاجت مشاعره، وهفا فؤاده للسير معهم، في رحاب هذه الرحلة المباركة لكن منعه من ذلك عدم استطاعته المالية، وقد أجاد الشاعر في رسم هذا المشهد المهيب الذي يجتمع فيه وفد الحجيج من كل الأطياف، فإن منظر اجتماع الرواحل في المكان الخالي الواسع لدليل على كثرة هذه الحشود المتوجهه إلى بيت الله الحرام وهذا

---

(١) سجع الحمام في مدح خير الأنام ص ٣١ ، والأبيات من الخفيف .

(٢) البَرَاز بالفتح : الفضاء الواسع . تاج العروس ١٥/٢٦ .

(٣) للجهاز : جهاز الميت والعروس والمسافر بالكسر والفتح : ما يحتاجون إليه ، ومنه تجهيز الغازي، تحميله وإعداد ما يحتاج إليه في غزوه . تاج العروس ٨٩ ، ٩٠ ، ١٥.

(٤) الإعواز : عوزَ يَعْوَز عَوَزًا ، فهو أَعْوَزُ وعَوِزَ الشَّخص احتاج ، افتقر ، ضاق حاله . معجم اللغة العربية المعاصرة ١٥٧٥/١٥.

(٥) الأجواز : والجوْزُ من كل شيء وسطه . المعجم الوسيط ١٤٧/١ .

أقوى في إشعال نار الشوق والحنين، فكل أهل الشام قد رحلوا لأداء هذا الركن الأصيل في الإسلام، ولم يبق إلا هو وحيدًا فريدًا، وذلك لأنه يجد ما يحمله أو يبلغه بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج لكن إن سارت حافلة الحجاج على رواحلهم، فإن رَوُحَه قد سارت معهم وصحبتهم في تلك الرحلة المباركة، وهذه المشاعر المتوقدة تمثل قمة السمو الروحي والانقياد العاطفي تجاه أقدس البقاع وأطيبها على وجه الأرض.

وبعد استعراض النماذج التي تحدثت عن الحب الإلهي، والحب المحمدي، والشوق للأراضي الحجازية يظهر لنا بوضوح النزعة الصوفية التي كانت عند بعض شعراء العصر العثماني والتي حاولوا فيها أن يسمو بأرواحهم وقلوبهم تجاه خالقهم ونبيهم ﷺ ، وكذلك الأماكن التي احتضنته من مولده إلى وفاته ﷺ ، وظهر في أبياتهم التي تحدثت عن تلك المعاني الراقية، صدق التوجه، ونبل المقصد، كما اختاروا فيها الكلمات الدالة التي تسعفهم وتبين مدى تأثرهم بهذه المعاني الجميلة، واستخدموا الصور التي تنبئ عن حالهم، وتبين مدى حبهم وولعهم وغرامهم في الذات الإلهية ، والجمال المحمدي ، والمقاصد المقدسة الطاهرة ، ومن المُلاحظ أن المتلقي لا يوفق في تمييز الغزل الصوفي، وبين الغزل بالمرأة لولا السياق التي وردت فيه القصيدة ودلت عليه بعض الأبيات ولعل هذا التشابه الكبير بين الغزل الصوفي والغزل التقليدي (بالمرأة) جاء نتيجة التقارب الشديد بين أحوال المتصوفة، وأحوال المحبين، فالشاعر الصوفي عندما يريد التعبير عن حبه يلجأ إلى الغزل التقليدي وإلى تأوهات المحبين، يستمد منها العون والعزاء لما هو فيه، ولولا القرائن اللفظية الموجودة في النص لما استطاع القارئ التفريق بين الغزلين

الخاتمة

الحمد لله رفيع الدرجات، الذي بفضله تتم الصالحات ، وبتوفيقه تُنَـال الدرجاتُ ، وتُقضَى الحاجاتُ، والصلاة والسلام على الحبيب الشفيع سـيدنا محمد صاحب خاتمة الرسالات، المُؤَيَّد من ربه بالمعجزات، اللهم صَلِّ وسلم عليه، وعلى آله وصحبه الغُرِّ الكرام السادات .

أما بعد .....

فقد انتهيت من إعداد هذا البحث الذي تناول "تجليات الغزل الصـوفي في الشعر العثماني نماذج مختارة" والذي تحدثت فيه عن مفهوم التصوف ، وعلاقة الشعر بالتصوف ، وعن العشق الالهي وتمكنه من قلوب الشعراء ، والحب المحمـدي، والتشـوق والحنـين إلـى أرض الحجـاز والأمـاكن المقدسة،وبعد هذه الوقفة المتأنية مع ظاهرة تجليات الغزل الصـوفي فـي الشعر العثماني خلصت إلي عدة نتائج من أهمها:

أولا: يعد شعر الغزل الصوفي من الأغراض الشعرية الأصيلة في الشعر العثماني ، فهو يصور الأحاسيس الكامنة لدى الشاعر، والعاطفـة الإنسـانية السامية بأجمل مظاهرها وهو ينتج من روح الشاعر ذاته من تصويره الآمـه ومشاعره وفرحه وحزنه وظروف عيشه الأخرى.

ثانيـا: إكثار شعراء الغزل في العصر العثماني من ذكر العذَّال والألم ، الذين يرد ذكرهم مقترناً بذكر الفراق والبعاد ، ففي هذا تعبير عـن الجانـب الديني والجانب الاجتماعي فضلاً عن العلاقات الاجتماعية في ذلك العصر.

ثالثـا:حرص شعراء الغزل العثمانيين علي الربط بين شـــعر الغـــزل ، وشعر المدح والحب الالهي وكان هذا الربط فنيًّا غايةً في الروعة والإبداع، ظهر من خلال الألفاظ ولنظم الموسيقي الذي ينبعث من هذه القصائد التـــي تتحدث عن الشكوى والهجر والحرمان .

رابعا: جاء أسلوب شعراء الغزل في العصر العثماني واضحًا سهلاً – غالبًا – ، متأثرًا في – بعض الأحيان – بأسلوب القرآن الكـــريم، والحـــديث النبوي الشريف .

فهرس المصادر والمراجع:

١- **القرآن الكريم**.

٢- إتحاف السادة المتقين، للسيد محمد بن محمد الحُسيني الزبيدي ٥٧٦/٩ دار الفكر للنشر والتوزيع بدون تاريخ.

٣- الأدب في التراث الصوفي، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار غريب، القاهرة بدون تاريخ .

٤-الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، مطبعة دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي/،تحقيق :مجموعة من المحققين ، الناشر / دار الهداية.

٦-تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، لأمين يوسف عوده ، مطبعة جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن .

٧-التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي، محمد مرتاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عنكون، الجزائر، ٢٠٠٩م .

٨-التصوف وآثاره في تركيا إبان العصر العثماني عرض ونقد، رسالة دكتوراه إعداد الباحثة حنان عطية الله ضيف المعبدي، إشراف د. عبدالله بن عمر الدميجي ، كلية التربية للبنات بمكة الأقسام الأدبية قسم الدراسات الإسلامية جامعة ام القرى بالمملكة العربية السعودية العام ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ.

٩-جمالية الرمز في الشعر الصوفي محي الدين بن عربي نموذجًا رسالة ماجستير هدَّى فاطمة الزهراء إشراف أ. د/ محمد مرتاض كلية الآداب والعلوم الإنسانية ــ جامعة أبى بكر بلقايد وتلمسان ــ الجزائر ٢٠٠٦م.

١٠- دراسات في التصوف، إحسان إلهى ظهير الباكستاني ، ط١، مطبعة دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع ٢٠٠٥م .
١١-ديوان ابن معتوق شهاب الدين الموسوي ، طبع بالمطبعة الميمنية علي نفقة أصحابها مصطفي البابي الحلبي وأخويه بمصر بدون تاريخ .
١٢-ديوان ابن معصوم المدني ، تحقيق شاكر هادي شكر ، مكتبة النهضة العربية ط١، سنة ١٤٠٨هـ، - ١٩٨٨م.
١٣-ديوان الشبراوي عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهري الشافعي الشهير بالشبراوي الشيخ الامام العالم العلامة والفاضل الهمام البحر الفهامة الناظم الناثر الأوحد المفنن أبو محمد جمال الدين ولد سنة احدى وتسعين وألف وجده عامر مترجم في خلاصة الأثر للمحبي وأخذ عن جملة من العلماء الأعلام كالعلامة محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أجازه سنة وفاته وهي عدد خرش وعن أبي مفلح خليل بن إبراهيم اللقاني والشهاب أحمد بن محمد الخليفي والامام محمد بن عبد الباقي الزرقاني والشهاب أحمد بن غانم النفراوي والجمال منصور المنوقي والعلم صالح بن حسن البهوتي الحنبلي وعيد بن علي النمرسي والجمال عبد الله بن سالم البصري وغيرهم وبرع ورؤس في العلم حتى صار شيخ الجامع الأزهر وتقدم على أقرانه سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم،ج٣، ص ١٠٧ ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ .
١٤- ديوان العارف الكامل خاتمة المحققين الأفاضل ، عمر اليافي ، طبع في المطبعة العلمية في بيروت ، سنة ١٣١١ .
١٥-ديوان المفتي عبد اللطيف فتح الله ، تحقيق زهير فتح الله المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت ،لبنان ،١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٦-ديوان عرائس الأفكار في مدائح المختار، للإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي، تخريج أ. د/ علي بن المنتصر الكَّناني، تقديم الشريف محمد حمزة بن علي الكَّناني ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م .

١٧-ديوان نفحة القبول في مدح الرسول، للشيخ عبد الغني النابلسي، دراسة وتحقيق : د/ فردوس نور علي حسين ، مطبعة دار الفكر العربي ــ مدينة نصر القاهرة، ١٤٢٠ه - ١٩٩٩م .

١٨- الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، سعيد بوسقطة، منشورات بونة للبحوث والدراسات ٢٠٠٨م .

١٩-سجع الحمام في مدح خير الأنام، محمد الصالحي الهلالي ،٢٧ ط١، طبع في مطبعة الجوانب، قسطنطينة ١٢٩٨م .

٢٠-الشعر الصوفي في الأدب العربي بموريتانيا في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين: دراسة في دواوين منتقاه، رسالة دكتوراة، إعداد الباحث عبد الرحمن بن عبدالله، إشراف د/ محمد اليعلاوي ، كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس الأولى، ١٩٩١م.

٢١-الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة ابن الفارض انموذجًا رسالة دكتوراة إعداد الطالب بولعشار مرسلي، إشراف أ.د/ أحمد مسعود، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران ــ السنه الجامعية ٢٠١٤م -٢٠١٥م .

٢٢-الشعر والتصوف، إبراهيم محمد منصور، دار الأمين للنشر والتوزيع ط١، القاهرة ١٩٩٩م.

٢٣-صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن عبدالله البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر، مكتبة دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢ه .

٢٤-المجموعة النهائية في المدائح النبوية، يوسف بن إسماعيل النبهاني، مطبعة دار الفكر ــ بيروت بدون تاريخ ــ.
٢٥-معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر(المتوفي ١٤٢٤هـ)، الطبعة الأولي ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م، الناشر عالم الكتب .
٢٦- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – بدون تاريخ .
٢٧-مقاييس اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط٢، شركة مصطفى البابي الحلبى، مصر بدون تاريخ .
٢٨-المنتخب من شعر ابن زاكور ،عمل عبد الله كنون الحسني، ط ،دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .
٢٩-المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال، للإمام أبى حامد الغزالي، بقلم الدكتور عبد الحليم محمود ، دار الكتب الحديثة، مصر بدون تاريخ.
المؤلف: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: ١٢٠٦هـ) الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم ،الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٣٠- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المؤلف: محمد بن أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي تحقيق: أحمد عناية دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى – ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٢٠٥
٢-	Abstract	٢٢٠٦
٣-	المقدمة	٢٢٠٧
٤-	تمهيد	٢٢٠٩
٥-	المبحث الأول	٢٢١٤
٦-	المبحث الثاني	٢٢٢٣
٧-	المبحث الثالث	٢٢٣١
٨-	الخاتمة	٢٢٤٠
٩-	فهرس المصادر والمراجع	٢٢٤٢
١٠-	فهرس الموضوعات	٢٢٤٦